# التصوير بالكناية في تفسير الشوكاني

## دراسة تداولية

الباحث/ إبراهيم عبد العزيز صالح عبد العزيز

**الملخص:**

تناول هذا البحث التصوير بالكناية عند الشوكاني من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الكناية التهذيبية: وهي التي تهدف إلى التهذيب بتغطية المعاني المتفحشة بألفاظ حسنة دالة على المعنى، كاكناية الدالة على العلاقة بين الزوجين، إذ لا يصرَّح بهذا الفعل في القرآن الكريم كله وإنما يكنى عنه بألفاظ تدل عليه، كالرفث واللباس والمباشرة... إلخ؛ وبذلك تبعث الكناية القرآنية جواً نفسياً إيحائياً خاصاً عند المتلقي لها؛ يختلف عمَّا تبعثه الدلالة التي يؤديها التعبير المباشر.

المطلب الثاني: الكناية النفسية: وهي التي تتعلق بالمشاعر النفسية التي تجسدها الكناية في حركات حسيّة نابضة بالحياة ترسم نموذجاً بشرياً بكل عواطفه ومشاعره وانفعالاته المختلفة من ندم وحسرة ... إلخ؛ وذلك من خلال إلقاء الضوء على بعض هذه الصور في محاولة للوقوف على الأثر النفسي الكامن وراء تلك الكنايات.

المطلب الثاني: الكناية الخُلُقية: وتُعنى هذه الكناية بالأنماط السلوكية إيجابية كانت أم سلبية، والقرآن حين يعرض هذه الموضوعات المهمة فإنه غالباً لا يعرضها بتعابير ذهنية مجردة وبتقريرية مباشرة، وإنما يعرضها بالأسلوب الكنائي المصور للمعنى؛ فيكون أكثر حيوية وتأثيراً من شأنه أن يحدث الإستجابة الشعورية والوجدانية في القارئ، أو السامع وهو يتلقى هذه الموضوعات التي يهدف القرآن تثبيتها في ذهنه ونفسه.

وقد كشف هذا البحث عن أهمية السياق في قطع المسافات العقلية الطويلة بين المكنّى والمكنّى عنه وهي مسافة قد لا يتمكن كل متلقي من قطعها، كما كشف هذا البحث عن الملمح التداولي في الكناية عند الشوكاني وهو المتعلق بكيفية إنتاج المعنى وبيان المقصودية الشرعية.

Research Summary

This research dealt with the metonymy of Al-Shawkani through three demands:

The first requirement: The disciplinary metonymy: which aims at politeness by covering obscene meanings with good words indicating the meaning, such as a metonymy indicating the relationship between the spouses, as this act is not stated in the Holy Qur'an as a whole, but it is nicknamed about it with words that indicate it, such as obscenity, dress, directness ... etc. ; Thus, the Qur'anic metonymy creates a special psychological and suggestive atmosphere for the recipient; It is different from what is implied by direct expression.

The second requirement: the psychological metonymy: it is related to the psychological feelings that the metonymy embodies in vibrant sensory movements that draw a human model with all his emotions, feelings and various emotions of regret and heartbreak ... etc.; And that is by shedding light on some of these images in an attempt to find out the psychological impact behind these metaphors.

The second requirement: Moral metonymy: This metonymy is concerned with behavioral patterns, whether positive or negative, and the Qur'an when it presents these important topics, it often does not present them with abstract mental expressions and direct declarative, but rather displays them in a metaphorical style depicting the meaning; It would be more lively and influential and would produce an emotional response in the reader, or the listener while he received these topics that the Qur'an aims to establish in his mind and soul.

This research revealed the importance of context in cutting the long mental distances between the pronoun and the pronoun, which is a distance that each recipient may not be able to cut.

**تقديم:**

الكناية من الوسائل التي لا يُستغنى عنها في كثير من الكلام؛ لاسيِّما فيما قد يستحي من ذكره مباشرة، أو فيما قد يُخشى أن يصرّح به؛ فتبتر بسببه الأعناق، أو تخنق بسببه الأصوات، فَيُلْجَأ إليها لتحقيق المراد دون إفصاح أو تصريح، ولعل هذا ما جعل علماء البلاغة يعدّون الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، على حد قول عبد القاهر الجرجاني، فقد كشف عن ذلك قائلًا: "قد أجمع الجميعُ على أنَّ الكناية أبلغُ من الإفصاح، والتعريض أوقعُ من التصريح"[1]، والقرآن الكريم في كثير من قضاياه يعتمد على الكناية بصفتها وسيلة من وسائل التصوير التي تُبرز للمتلقي المعنى المراد دون إسهاب في الكلام؛ فتصل إلى المضمون من أقصر

طريق، وإن كان اللفظ الموضوع لها دون ذلك، ولم يكن الشوكاني في تفسيره للقرآن الكريم بمنأى عن هذا الأسلوب البياني، فقد تناوله ولكن على طريقته التي جمعت بين التفصيل تارة، والإجمال تارة أخرى، دون الوقوف على ما وقف عليه البلاغيون من أقسام، إلا أنَّه قد اهتم بالمعنى المراد الذي سيق له هذا الأسلوب البياني.

وسوف أتناول هذا البحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الكناية التهذيبية.

المطلب الثاني: الكناية النفسية.

المطلب الثالث: الكناية الخلقية.

## التصوير بالكناية

### مفهوم الكناية:

**الكناية لغةً:** "هي مصدر كَنَيْتُ، أو كَنَوْتُ بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به"[١]، يعني "أن تتكلم بشيء وتُريدُ غَيرَهُ، وكَنَى عن الأمر بغيره يَكْنِي كِنايةً: يعني إذا تكلم بغيره ممَّا يستدل عليه"[٢]، وبهذا يتضح أنَّ الكناية في اللغة هي: "عدولٌ عن لفظ إلى آخر دالٍ عليه"[٣]

**الكناية اصطلاحًا:** عرَّفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة؛ ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردِْفُه في الوجود؛ فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه"[٤]، كما عرَّفها القزويني بقوله: "الكناية لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذ"[٥]، أي: إرادة معناه الأصلي، فكأنَّ القزويني بتعريفه هذا قد وضع الكناية في قالبها المنطقي الذي أصبح أكثر تداولًا وشيوعًا على الألسنة.

وبالجمع بين اللغة والاصطلاح، كمفهوم للكناية نستطيع أن نتحسس بلاغة الكناية؛ فالكناية "مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لَطُف طبعُهُ، وصَفتْ قريحته"[٦]؛ لأنَّه من خلالها يستطيع أن يرسم شخصية الموصوف في الأذهان، وتلك مزيةٌ للكناية لا تكون للتصريح، كما قال عبد القاهر الجرجاني: "أمَّا الكناية فإنَّ السبب في أنْ كان للإثبات بها مزيَّةٌ لا تكون للتصريح؛ أنَّ كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أنَّ إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيحائها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدَّعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا.

غُفلًا، وذلك أنك لا تدَّعي شاهد الصفة ودليلها، إلا والأمر ظاهرٌ معروفٌ، وبحيث لا يُشك فيه، ولا يُظنَّ بالمِخْبرِ التجوَّزُ والغَلَط"[١]، إذًا فالسِّر في بلاغتها "أنَّها في صور كثيرة تُعْطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيَّها بُرْهانُها، كقول البحتري في المديح:

**يَغضُّونَ فَضْلَ اللّحظِ مِن حَيثُ مَا لهمْ عَنْ مَهيبٍ في الصّدورِ**

فإنَّه كنى عن إكبار الناس للممدوح وهيبتهم إيَّاه بغض الإبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال ... ومن أسباب بلاغة الكنايات أنَّها تضع لك المعنى في صورة المحَسَّات، ولا شك أنَّ هذه خاصة الفنون؛ فإنَّ المصور إذا رَسَمَ لك صورة للأمل أو اليأس بهرك، وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحًا ملموسًا... وقول البحتري:

**أَوَمَــا رأيــتَ الْمَجْـدَ أَلْقَـى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَـةَ ثمَّ لـم يَتَحَــوَّلِ**[٣]

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كل أولئك يُبرزُ لك المعاني في صورة تشاهدها، وترتاح نفسك إليها"[٤].

كما أنَّها يمكن أن "تؤدي إليك المعنى الكبير في قليل من اللفظ، وذلك هو الإيجاز الذي يمثل عنصرًا من عناصر رفيع التعبير والإيجاز، وهي بالإضافة إلى هذا كله وسيلة للتعبير عن أمور لا تجب أن تصرح بها، ولا أن تذكرها باسمها الأصيل، وليس إلا الكناية مَنْ يقوم بهذا العِبْء، ويحقق لك ما تريد"[٥].

**المطلب الأول**: الكناية التهذيبية

ويقصد بهذه الكناية تلك "التي تهدف إلى التهذيب؛ بتغطية المعاني المتفحشة بألفاظ حسنة دالة على المعنى"[٦]، كالكناية الدالة على العلاقة بين الزوجين، "إذ لا يصرَّح بهذا الفعل في القرآن كله؛ وإنَّما يُكنَّى عنه بألفاظ تدل عليه، فهو يُكنَّى عنه بالملامسة، والمس، والغشيان، والتقرّب، والإفضاء، والدخول، والإتيان، والمباشرة، والرَّفث، والتمتع، والاعتزال، واللباس، والهجر في المضاجع، والسِّر"[٧]، وذلك بالنسبة لهذه العلاقة بين الزوجين في الدنيا، أمَّا عن تلك العلاقة في الآخرة فنجد القرآن الكريم يُكنِّي عنها بالطَمَثِ، والفُرُشِ المرفوعة، كما في سورة الرحمن والواقعة[٨]؛ "وبذلك يتجلى البعد التهذيبي الذي تنطوي عليه الكناية القرآنية الجنسية، فهي تتسامى وترتفع عن التصريح بالألفاظ المفحشة التي تخدش الشعور، وتحط من الذوق الجمالي؛ وبذلك تبعث الكناية القرآنية جوًّا نفسيًا إيحائيًا خاصًا عند المتلقي لها؛ يختلف عمَّا تبعثه الدلالة التي يؤديها التعبير المباشر"[٩]، ومن هذه الصور الآتي:

**الصورة الأولى: الرفث واللباس والمباشرة:**

هذه الكنايات الثلاثة تشكل صورة للعلاقة الزوجية في أخص خواصها، ولقد جاء ذكر هذه المفردات الثلاثة مجموعة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﱡ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱎﱏ □ □ □ □ □ يم يى □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى ني □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ تن تى تي □ □ تر □ بن بى بي □ □ بر □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ[١٠]، وذلك كناية عن العلاقة الجنسية بين الزوجين.

ويبين الشوكاني هذه الكنايات الثلاثة من خلال اعتماده على أكثر من سياق؛ فيقول عن مفردة ﱡ □ ﱠ: "والرَّفَثُ كناية عن الجماع"[١١]، معتمدًا في ذلك على سياقين:

**السياق الأول**: هو السياق الداخلي فيقول: "الرَّفَثُ أصله قول الفحش، رفث وأرفث إذا تكلم بالقبيح، وليس هو المراد هنا، وعدِّى الرفث بإلى لتضمينه معنى الإفضاء"[١٢]، فلقد استبعد الشوكاني أن يكون المراد من الرَّفَثِ هنا هو القول الفاحش بدلالة اللغة؛ فالتعدِّي بإلى يقطع بأنَّ المراد هو الجماع، كما قال ابن منظور: "فإنَّه عدَّاه بإلى؛ لأنَّه في معنى الإفضاء، فلمَّا كُنْتَ تُعَدِّى أَفْضَيْتُ بإلى، كقولك: أفضيت إلى المرأة، جِئْتَ بإلى مع الرفث إيذانًا وإشعارًا أنَّه بمعناه"[١٣].

**السياق الثاني**: السياق الخارجي: حيث اعتمد الشوكاني على ما قاله الزَّجَّاج والأزهري في معنى الرَّفث فقال: "قال الزَّجَّاج: الرَّفثُ كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته، وكذا قال الأزهري، ومنه قول الشاعر:

**وَيُرَيْنَ مِنْ أُنَسِ الْحَدِيثِ زَوَانِيَا ... وَلَهُنَّ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ**[١٤][١٥]

أمَّا عن لفظةﱡ □ ﱠ فبيّن الشوكاني أنَّ السبب في جعلها كناية عن الجماع هو امتزاج كل واحد منهما بالآخر، كالامتزاج الذي يكون بين الثوب ولابسه، فقال: "وجعل النساء لباسًا للرجال، والرجال لباسًا لهنَّ؛ لامتزاج كل واحد منهما بالآخر عند الجماع، كالامتزاج الذي يكون

بين الثوب ولابسه"[١٦]، بل وذهب إلى أنَّ السبب في تلك الكناية قد يكون بسبب السّتر؛ لأنَّ كل واحد من الزوجين يستر الآخر من نظر الآخرين، فقال: "وقيل إنَّما جعل كل واحد منهما لباسًا للآخر؛ لأنَّه يستره عند الجماع عن أعين الناس"[١٧].

أمَّا عن لفظة (□) فالشوكاني عند تناوله لها قال: "المراد بالمباشرة هنا الجماع"[١٨]، ثُمَّ اعتمد على سياق خارجي، وهو قول ابن عباس ψ في أنَّ المراد بتلك الألفاظ الثلاثة هو الكناية عن الجماع، فقال: "وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس قال: الدخول، والتغشي، والإفضاء، والمباشرة، والرفث، واللمس، والمس هذا الجماع، غير أنَّ الله حَييٌّ كريم يُكنِّي بما شاء عمَّا شاء"[١٩].

وهذا النتاج الكلامي التداولي الذي اعتمد فيه الشوكاني على السياق لفهم النص القرآني، وصولًا به إلى المتلقي؛ قد قطع كل المسافات العقلية الطويلة التي يحتاجها المتلقي لإيجاد الرابط الذي يصل بين المكنَّى، والمكنَّى عنه، وهي مسافة قد لا يتمكن كل متلقي من قطعها، وهنا تظهر جماليات الكناية، فهي لا ترتبط بالمعنى الضمني فقط، ولكن بالمعنى الصريح أيضًا، ومع ذلك فلا يختل نظام النص أبدًا.

وهكذا تنوعت السياقات، وتناغمت فيما بينها؛ ليوضح من خلالها الشوكاني تلك الكنايات الثلاثة التي اجتمعت في نص واحد؛ لتعبَّر عن تلك العلاقة الزوجية في لُبِّها وجوهرها الذي جعله الله تعالى سببًا لبقاء البشرية، وحفاظًا لها من الوقوع في مهاوي الرذيلة.

**ومن الخصائص الفنية لهذه الصورة البيانية:** أنَّها عرضت للعلاقة الزوجية من خلال تسليط الضوء على جوهرها؛ معتمدة على ثلاثة ألفاظ كنائية أوحت بظلالها، وكثرة دلالاتها على تلك العلاقة الحميمة بين الزوجين، فأول لفظة اعتمدت عليها الصورة هي □ُ ٱٓ ً كناية عن موصوف وهو الجماع، وإن كانت في حقيقتها تدل على الفحش من القول، فهي جمعت بين المعنى الحقيقي، والمعنى الكنائي، وهذا هو الأنسب لسياقها الذي وردت فيه؛ لأنَّ هذه العملية الفسيولوجية قد لا تخلوا من الجمع بين القول والفعل، ولعل هذا ما جعل الزمخشري يعلل ورود هذه اللفظة في هذا السياق بالاستهجان، فقال: "فإن قلت لِمَ كنَّى عنه هاهنا بلفظ الرّفث الدال

على معنى القبح ... قلت: استهجانًا لِمَا وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانًا لأنفسهم"[٢٠]، ولقد أوحت تلك اللفظة من خلال جمعها بين المعنيين الحقيقي والكنائي، "بإيحاءٍ يتسق مع عبادة الصيام اتساقًا فنيًا ملحوظًا؛ إذ يظل المعنى الحقيقي الصريح يُظلل السياق بمعناه، وهو من المفطرات للصائم، فإذا كان محرَّمًا في أثناء الصيام بين الزوج وزوجته نهارًا فإنَّه مُباح ليلًا؛ وبذلك تكون الكناية موحية بما يصاحب المكنَّى عنه من قولٍ يلازم، وشعور يرتفع بالفعل الجنسي، بوصفهما إنسانين"[٢١].

وأمَّا اللفظة الأخرى وهي (اللباس) فقد عمَّقت هذا المعنى الكنائي، وأوحت بدلالاتها إلى التستر الذي يجب أن يكون بين الزوجين، ليس فقط حيال هذه العملية الجنسية؛ ولكن أيضًا في كل ما لا يجب أن يطلع عليه غيرهما.

وأمَّا اللفظة الثالثة وهي (المباشرة) فقد أوحت بإيحائين ينسجمان مع السياق: "أنَّ المبادرة في الفعل للزوج، أي: إعطاؤه الفاعلية من خلال الأمر (باشر) فهو أولى بالفاعلية، وهو أشد حاجة بالتذكير بالمعاني الإنسانية التي أوحت بها الكناية ... وأقدر على رفع هذه العلاقة الإنسانية إلى مستوى القداسة، والإيحاء بإباحة الفعل المكنَّى عنه الذي كان محرَّمًا قبل ذلك"[٢٢]، وهذه الكنايات الثلاثة في مجملها لا تهدف إلى إباحة التلذذ بالنساء فحسب، وإنَّما ترمي إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو بقاء النسل؛ لذا قال الله تعالى: ﴿ ﴾.

**الصورة الثانية: التغشِّي:**

ومن الكنايات التهذيبية قوله تعالى: ﴿ ﴾ [١].

فالكناية قوله تعالى: ﴿ ﴾: فقد كنَّى بها عن الجماع على طريقة القرآن في تهذيب ما يُستهجن ذكره ويُستقبح.

ويبين الشوكاني هذه الكناية بقوله: "والتغشِّي: كناية عن الوقاع، أي: فلمَّا جامعها□ بتر □ ً علقت به بعد الجماع، ووصفه بالخفّة؛ لأنَّه عند إلقاء النطفة أخف منه عند كونه علقة، وعند كونه علقة أخف منه عند كونه مضغة، وعند كونه مضغة أخف ممَّا بعده"(٢).

إنَّ الشرح الذي قدمه الشوكاني من خلال اعتماده على السياق الداخلي للنص القرآني يمثل عتبة إفهامية تداولية ساعدت في الوصول إلى المعنى المراد من لفظة التغشي، وهو المعنى الكنائي لها، وليس المعني الحقيقي الذي هو الغطاء(٣)، وإن كانت الكناية أيضًا تحمل في طياتها المعنى الحقيقي، فكلا الزوجين غطاء للآخر، فالكناية "عبَّرت بإيحاءاتها عن جو السياق الذي تشكلت فيه؛ فهي منبثقة في معناها، ومتصلة بقوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ بر □□ ً.

فالزوجة مخلوقة من نفسه، فهي بعض منه؛ وبذلك يتحقق معنى السكن والمحبة والإيناس على أبلغ وجه"(٤)؛ لذا كانت تلك الكناية من أحسن الكنايات التي عبَّرت عن تلك العلاقة الجنسية بين الزوجين، كما قال الزَّجَّاج: □ بن بي ً كناية عن الجماع أحسن كناية"(٥).

**ومن الخصائص الفنية لهذه الصورة:** أنَّها عرضت للعلاقة الزوجية من خلال إطار التنبيه على عِظم القدرة الإلهية في معرض الامتنان على الخلق بالإيجاد، بل ذهب الزركشيّ إلى أنَّ الكناية هنا سببًا لذلك(١)، وكلمة□ بيَّ توحي بظلالها وجرس حروفها إلى تلك الملاطفة التي يجب

أن تكون بين الزوجين، لاسيما وقد جاءت الصورة هنا في سياق الالتقاء الأول بين آدم وحواء عليهما السلام"؛ فاقتضى ذلك التذكير بالملاطفة ونحوها كمقدمات للعلاقة بين الاثنين"(٢).

**المطلب الثاني**: الكناية النفسيّة

تتحدد معالم تلك الكناية في الإشارات الوجدانية، والمشاعر النفسية التي تجسَّدها الكناية، "في حركات حسيّة نابضة بالحياة، ترسم نموذجًا بشريًا بكل عواطفه ومشاعره وانفعالاته المختلفة من: ندم، وحسرة، وغيظ، وحقد، وحسد، وإعراض، وهزيمة، وخوف، وهلع، وفزع، واحتقار، واستهانة، وفرح، ومسرَّة، وطمأنينة، تعرض كل هذه المعاني النفسية في سياقات مختلفة، وأحوال متباينة في الحياة الدنيا في مواقف متنوعة، وفي الآخرة في بعض مشاهد يوم القيامة المروعة"[٢٣]، وذلك من خلال إلقاء الضوء على بعض تلك الصور النفسية التي جسَّدتها الكناية القرآنية، في محاولة للوقوف على الأثر النفسي الكامن وراء تلك الكنايات، ومن تلك الصور الآتي:

**الصورة الأولى: عض الأنامل:**

وردت هذه الكناية في قوله تعالى: ﴿ ٱ □ ير □ □ ين يى □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ جم □ حم □ خم □ ﴾ [٢٤].

فقوله تعالى: ﴿ ٱبخ بم به تج تح ﴾ تخ كناية عن نسبة؛ حيث عدل عن نسبة صفة الغيظ إليهم مباشرة إلى نسبتها إلى ماله اتصال بهم وهو عضهم لأناملهم، وما ذلك إلا تعبيرًا عن شدة غيظهم من المؤمنين.

ويبين الشوكاني هذه الكناية من خلال اعتماده على السياق الثقافي، فيقول: ﴿ ٱبخ بم به تج تح ﴾ تأسفًا وتحسرًا؛ حيث عجزوا عن الانتقام منكم، والعرب تصف المغتاظ والنادم بعضِّ

الأنامل والبنان، ثُمَّ أمره الله سبحانه بأن يدعو عليهم، فقال: ﴿ تم تهثم ﴾ وهو يتضمن استمرار غيظهم ما داموا في الحياة حتى يأتيهم الموت وهم عليه"[٢٥].

فالشوكاني استنتج هذه الكناية من خلال تلك الأيديولوجية المعتمدة عند العرب قديمًا، من أنَّهم كانوا يصفون المغتاظ بعض الأنامل، "ولما كثر هذا الفعل من الغضبان؛ صار ذلك كناية عن الغيظ، وإن لم يكن هناك عضٌّ"[٢٦]، فالشوكاني ركَّز هنا على السياق الثقافي؛ لتعلقه بكيفية إنتاج المعنى؛ حتى ييسر عملية الفهم والتأويل بالنسبة للمتلقي.

**ومن الخصائص الفنية لهذه الصورة:** أنَّها عرضت مشهدًا فيه تقابل بين متناقضين: مُحبٌّ وكارهٌ، أو مؤمن وغير مؤمن، من خلال تجسيدها لِمَا انطوت عليه البواطن، وكلاهما ترجم عمَّا يحمله داخله من انفعالات تجاه الآخر، ومعلوم أنَّ الإنسان إذا اضطرب باطنه من الانفعال صدرت عنه أفعال تناسب ذلك الانفعال، فقد تكون معينة على دفع انفعاله كقتل عدُّوه، وفي ضده كتقبيل من يحبه، وقد تكون قاصرة عليه يشفي بها بعض انفعاله"[٢٧]، والكاره هنا في حالة غيظ وتحسر تجاه المؤمنين؛ فهو لا يستطيع أن يوقف انتصاراتهم، أو أن يحد منها؛ فيلجأ إلى ما يشفي به غيظه بعض أنامله، كما قال القرطبي: "وعضُّ الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه، أو نزل به ما لا يقدر على تغييره"[٢٨]؛ فالكناية هنا "تعبير عن ذلك الانفعال النفسي، وهو شدة الغيظ فضلًا عن التأسف والندم عمَّا يفوتهم من إيذاء المؤمنين"[٢٩]، ولتعميق الصورة أكثر جاء الدعاء عليهم بالاستمرار على ما هم عليه من غيظ، حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك، بقوله ﴿ تم تهثم ﴾، فالصورة من خلال تلك الكناية الحركية كشفت للمؤمنين ما يبطنه لهم غيرهم من الغيظ؛ حتى لا ينخدعوا فيهم، وأن يكونوا دائمًا منهم على حذر.

**الصورة الثانية: عض اليدين:**

وردت هذه الكناية في قوله تعالى: ﴿ ٱ نى ني ىٰ ير بن بى ﴾[١].

فقوله تعالى: ﴿ ٱ ﴾ كناية عن نسبة؛ حيث عدل عن نسبة صفة الندم والتحسر للظالم مباشرة، إلى نسبها وإلصاقها بما له اتصال به، وهو عضه ليديه.

والشوكاني في تناوله لهذه الصورة البيانية قد مال إلى ترجيح الحقيقة فيها، وأن العض على ظاهره، على الرغم من ذكره لسياق آخر حملت فيه على الكناية، فقال: "الظاهر أنَّ العض هنا حقيقة، ولا مانع من ذلك، ولا موجب لتأويله، وقيل: هو كناية عن الغيظ والحسرة"[٢].

وقد تلاحظ لدينا من خلال التتبع والاستقراء لأقوال المفسرين في هذه الآية أنَّ منهم من صرَّح بكنايتها[٣]، ومنهم من فُهِم من فحوى كلامه أنَّها تحتمل كلا الأمرين[٤]؛ لكنَّ جُلَّ المفسرين قالوا بأن ذلك بسبب الندم[٥]، وحتى لو كان الفعل على حقيقته فهو ما كان ليحدث لو لم يكن هناك ندم وتحسر على ما فات.

**ومن الخصائص الفنية لهذه الصورة:**

أنَّها عرضت مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، من خلال تسليط الضوء على موقف يُعاني فيه الظالم أشد أنواع الندم؛ جرَّاء انحرافه عن الطريق المستقيم، "فالتعبير عن حالته النفسية، وتجسيدها بكناية عض اليدين، توحي بذلك الانفعال الشديد المضطرب، وهو يناسب الحركة الغليظة المصورة للمعنى النفسي المقصود، فهو لا تكفيه يد واحدة يعض عليها، إنَّما يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم"[٣٠]، الذي يوحي بهول هذا الموقف النفسي الذي يعانيه، "إذ النفس هنا والهة مكروبة يحيط بها العذاب من كل جانب؛ فتذكر ما حدث لها في الدنيا؛ فتندم أشد الندم"[٣١].

ولقد زاد من تعميق هذه الصورة النفسية، وإبرازها بكل أبعادها، ما تبعها من تَمَنٍّ □ □ نى ني □ يرَّ، الذي يُشعر بمدى تلك اللهفة المكروبة، "وكيف تتعلق نفسه بما فات، وكيف لهذه الصرخة الملتهبة بهذا الصوت المنبه واللافت بقوله (**يَا**)، وهي ليست للنداء، وإنَّما هي صوت يراد به التنبيه ... ثُمَّ قوله □ ين يى □ □ □ تجد الصرخة هنا أكثر حدة؛ لأنَّ الندم هناك على أنَّه لم يتخذ سبيل الذين آمنوا فحسب، والندم هنا على أنَّه اتخذ سبيل المضلين، وهو ليس رفضًا لسبيل الذين آمنوا فحسب، وإنَّما هو فوق ذلك معاندة له، وذهاب في الوجه المقابل"[٣٢]

والصورة بكل أبعادها تجعل المتلقي في بؤرة الشعور، حتى كأنَّه يُخيَّل إليه أنَّ المشهد لا ينتهي؛ فيقف على تلك الحالة النفسية التي يعانيها هذا الظالم.

**المطلب الثالث**: الكناية الخُلُقية

وتُعنى هذه الكناية بالأنماط السلوكية، إيجابية كانت أم سلبية، في حدود ما ورد من كنايات قرآنية: كالبخل، والجبن، والتكبر، والشجاعة، والتواضع، والعفة، وغيرها من الأنماط السلوكية التي تضج بها المجتمعات، ويتفاعل معها الناس بالقبول أو الرفض، من خلال حياتهم اليومية، "والقرآن حين يعرض هذه الموضوعات المهمة فإنَّه غالبًا لا يعرضها بتعابير ذهنية مجردة، وبتقريرية مباشرة، وإنَّما يعرضها بالأسلوب الكنائي المصوِّر للمعنى؛ فيكون أكثر حيوية وتأثيرًا، من شأنه أن يحدث الاستجابة الشعورية والوجدانية في القارئ أو السامع، وهو يتلقى هذه الموضوعات التي يهدف القرآن تثبيتها في ذهنه ونفسه، أو تنفيره منها"[1].

ونستعرض هذه الكناية من خلال صورة قبض الأيدي:

تظهر هذه الصورة الكنائية في قوله تعالى: ﴿ ين يى □ □ □□ □ □ بج بح بخ بم بهبج تح تخ تمتهثم □ جم □حمَّ[2]

فالكناية قوله تعالى: ﴿بم بهَّ، وهي كناية عن صفة البخل والشّح، فَعبَّر باللازم وهو القبض، وأراد الملزوم، وهو البخل"، والأصل في هذه الكناية أنَّ المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء، فقيل لمن منع وبخل قد قبض يده"[3]، والمعنى أنَّهم لا ينفقون ولا يتصدقون في أي وجه من وجوه الخير.

ويبين الشوكاني هذه الكناية بقوله: "آبم بهَّ، أي: يشحّون فيما ينبغي إخراجه من المال في الصدقة والصلة والجهاد، فالقبض كناية عن الشّح، كما أنَّ البسط كناية عن الكرم"(٤)، فالشوكاني في تخريجه لهذه الكناية لم يكتف ببيانه لها فحسب؛ بل أكد المعنى عليها من خلال مجيئه بما يقابلها من تضاد، وهو بسط اليد، وبالإضافة إلى بيان الشوكاني السابق لهذه الكناية، فإنَّه اعتمد أيضًا على سياق خارجي عضد به قوله؛ حيث ذكر ما قاله مجاهد في معنى قبض اليد فقال: "وأخرج ابن أبي شيبة، وأبن المنذر، وابن أبي حاتم(٣٣)، وأبو الشيخ عن مجاهد: في قوله: "آبم بهَّ، قال: لا يبسطونها بنفقة في حق"(٣٤)، وبهذا يكون الشوكاني قد استفاد من معطيات النص، كما استفاد من هذا السياق في تقرير هذه الكناية، والتصريح بها أنَّها عن صفة الشّح.

**ومن الخصائص الفنية لهذه الصورة:** أنَّها جسَّدت نمطًا سلوكيًا لدى المنافقين، والمنافقات قد انطوت عليه أنفسهم، وهو البخل، من خلال تصويرها له بمشهد قد أوحى بجرس حروفه، وظلال معناه إلى، مدى قسوتهم، وشدة بخلهم، فهم لا ينفقون على الفقراء، ولا في أي وجه من وجوه الخير، وممَّا يؤكد هذا المعنى ويقويه، ورود صيغة الكناية بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد، ولعل هذا هو السبب في ورود هذه الكناية بصيغة الفعل دون الاسم؛ إذ ليس المراد إثبات هذا المعنى فيهم بقدر إثبات فعله، وتجدده فيهم على استمرار، وهذا هو الفرق بين موضوع الاسم والفعل، على حد قول عبد القاهر الجرجاني: "إن موضوع الاسم على أنَّه يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّدَه شيئًا بعد شيء، وأمَّا الفعل فموضوعه على أنَّه يقتضي تجُّدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء"(٣٥)، وبهذا تكون الصورة قد أعطت ملمحًا للمتلقي عن شخصية المنافقين، وما انطوت عليه أنفسهم من الشّح، بالإضافة إلى الصفات الأخرى التي قررتها الآية القرآنية.

**الهوامش:**

[١] دلائل الإعجاز: ص٧٠

(١) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق يوسف الصمالي، المكتبة، صيدا، بيروت، العصرية، (د.ت) ص٢٨٦

[٢] لسان العرب: (٣٩٤٤/٥) مادة (كنى)

[٣] محمد جابر الفياض: الكناية، دار المنار، ط١، جدة، السعودية، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص١٠ / جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص٢٩٣

[٤] دلائل الإعجاز: ص٦٦

[٥] الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥٨/٥

[٦] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص٢٩٣

(١) دلائل الإعجاز: ص٧٢

(٢) بحر الطويل: ديوان البحتري (الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، شاعر عباسي، ت ٢٨٠هـ ) تحقيق حسن كامل الصيرفي، من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان، مطلعها (بِنا أَنتِ مِن مَفجوَّةٍ لَم تُعَتَّبِ)، دار المعارف، ط٣، القاهرة، (د.ت) (١٩٢/٣) رقم البيت (١٦)

(٣) بحر الكامل: ديوان البحتري: من قصيدة يمدح فيها محمد بن عليّ القمّي الكاتب، ويصف الفرس والسيف، مطلعها (**أَهلًا بِذالِكُمُ الخَيالِ المُقبِلِ**) (١٧٤٩/٣) البيت رقم (٣٨)

(٤) يُنظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص٢٩٣

(٥) بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البيان، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص١٨٣ ، ١٨٤

(٦) أحمد فتحي رمضان الحياني: الكناية في القرآن الكريم – موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، دار غيداء، عمان، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) ص٤٤

(٧) المرجع السابق: ص٧٩

(٨) يُنظر: سورة الرحمن: الآية (٧٤) / سورة الواقعة: الآية (٣٤)

(٩) الكناية في القرآن: الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: ص٧٩

(١٠) سورة البقرة: الآية (١٨٧)

([١١]) فتح القدير: (٢٥٩/١)

([١٢]) المصدر نفسه: (٢٥٩/١ ، ٢٦٠)

([١٣]) لسان العرب: (١٦٨٦/٣) مادة (رفث)

([١٤]) بحر الكامل: لم أظفر بنسبته

([١٥]) فتح القدير: (٢٥٩/١)، معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج: (٢٢١/١)

([١٦]) فتح القدير: (٢٦٠/١)

([١٧]) المصدر السابق: (٢٦٠/١)

([١٨])المصدر نفسه: (٢٦٠/١)

([١٩]) المصدر نفسه: (٢٦١/١)

([٢٠]) الكشاف (٢١٦/١)

([٢١]) الكناية في القرآن الكريم – موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: ص٨٣

([٢٢]) المرجع السابق: ص٨٤

([١]) سورة الأعراف: الآية (١٨٩)

([٢]) فتح القدير: (٣٤٨/٢)

([٣]) يُنظر: لسان العرب (٣٢٦١/٥) مادة (غشا)

(٤) الكناية في القرآن الكريم – موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: ص٨٨

(٥) معاني القرآن وإعرابه: (٣١٩/٢)

([١]) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: (٣٠١/٢)

([٢]) وظيفة الصورة الفنية في القرآن: (١٠٨/١)

([٢٣]) الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: ص١٣٧ ، ١٣٨

([٢٤]) سورة آل عمران: الآية (١١٩)

([٢٥]) فتح القدير: (٥٠٧/١)

([٢٦]) أبو حفص عُمر بن علي بن عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوَّض، ومحمد رمضان حسن، ومحمد المتولي الدسوقي حرب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) (٤٩٦/٥)

([٢٧]) التحرير والتنوير: (٦٦/٤)

([٢٨]) الجامع لأحكام القرآن: (١٥٢٩/٢)

([٢٩]) الكناية في القرآن الكريم – موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: ص١٣٩

([١]) سورة الفرقان: الآية (٢٧ ، ٢٨)

([٢]) فتح القدير: (٨٨/٤)

([٣]) قال الزمخشري: "عض اليدين، والأنامل، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان، والأُرّم وقرعها، كناية عن الغيظ، والحسرة؛ لأنَّها من روادفها؛ فيذكر الرادفة ويدل بها على المرادف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظه المكنَّى عنه" . الكشاف: (٢٥٣/٣)

([٤]) قال الألوسي: "وعض اليدين إمَّا على ظاهره، وروي ذلك عن الضحّاك، وجماعة قالوا: يأكل يديه إلى المرفق، ثُمَّ تنت، ولا يزال كذلك كلما أكلها نبتت، وإمَّا كناية عن فرط الحسرة، والندم" . روح المعاني: (١٨/١٩)

([٥]) قال ابن جرير الطبري: "ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه" . جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٥٠١/٨)، وقال ابن عطية: "عض اليدين هو فعل النادم الملهوف المتفجع" . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ص١٣٨١ ، وقال ابن كثير: "يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق الرسول ρ وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مرية فيه، وسلك طريقًا أخرى غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم، وعض على يديه حسرة وأسفًا " . تفسير القرآن العظيم (١٢/٦)

([٣٠]) الكناية في القرآن الكريم – موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: ص١٤٠

([٣١]) عبد الله محمد سليمان هنداوي: البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية، مطبعة الأمانة، ط١، القاهرة، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص٥٧

([٣٢]) محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، مكتبة وهبة، ط٢، القاهرة، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص٢٠٠

([١]) الكناية في القرآن الكريم – موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: ص١٦٣

[٢]) سورة التوبة: الآية (٦٧)

[٣]) إعراب القرآن وبيانه: (٢٤٢/٣)

(٤) فتح القدير: (٤٧٩/٢ ، ٤٨٠)

[٣٣]) تفسير القرآن العظيم: (١٨٣٢/٦)

[٣٤]) فتح القدير: (٤٨١/٢)

[٣٥]) دلائل الإعجاز: ص١٧٤

## المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- الشوكاني: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث ، القاهرة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م).

ثانيًا: المراجع:

٣- ابن عاشور (محمد الطاهر بن عاشور): **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، تونس (١٩٨٤م).

٤- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار ابن حزم، ط١، بيروت، لبنان (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٥- ابن منظور ( محمد بن مكرم بن علي): **لسان العرب**، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).

٦- أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي: **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ومحمد رمضان حسن، محمد المتولي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٧- أحمد فتحي رمضان الحياني: **الكناية في القرآن الكريم موضوعها ودلالاتها البلاغية**، دار غيداء، عمان (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

٨- أحمد ياسوف: **جماليات المفردة القرآنية**، دار المكتبي، ط٢، دمشق (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٩- الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق السيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

١٠- الزّجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السّرّيّ): **معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج**، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث ، القاهرة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

١١- الزركشي (محمد بن عبد الله الزركشي): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (د.ت).

١٢- الزمخشري: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل**، تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

١٣- السيد أحمد الهاشمي: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق يوسف الصمالي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت).

١٤- عبد السلام أحمد الراغب: **وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم**، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١٥- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبة، ط١، القاهرة (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

١٦- عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة مدني، ط٣، القاهرة (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

١٧- عبد الله محمد سليمان هنداوي: **البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية**، مطبعة الأمانة، ط١، القاهرة (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

١٨- القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي): **الجامع لأحكام القرآن**، دار الغد العربي، ط٢، القاهرة (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

١٩- القزويني **الإيضاح في علوم البلاغة**: شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٣، القاهرة (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٢٠- محمد جابر الفياض: **الكناية**، دار المنار، ط١، جده، السعودية (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٢١- محمد محمد أبو موسي: **دلالات التراكيب**، مكتبة وهبة، ط٢، القاهرة (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

٢٢- محيي الدين الدرويش: **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، دمشق، دار اليمامة، ط٧ (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).